مقال ترجمة

جُنُودُ القُوَاتِ الخَاصَةِ يَكْشِفُونَ التَّفَاصِيلَ الأُولَى بِشَأنِ المَعْرَكَةِ مَعَ المُرْتَزَقَةِ الرُّوسِ فِي سُورِيَّة عام 2018

وفقا للجنود الذين خاضوها

المصدر: موقع The War Horse (منظمة إخبارية أمريكية مختصة في الخدمة العسكرية)

ترجمة الخطابي للدراسات: يوليو / تموز 2023

جُنُـودُ القُـوَاتِ الخَاصَـةِ يَكْشِـفُونَ التَّفَاصِيـلَ الأولـى بِشَـأنِ المَعْرَكَـةِ مَـعَ المُرْتَزَقَـةِ الـرُّوسِ في سُـورِيَّة عـام 2018

-وفقاً للجنود الذين خاضوها-

بقلم: كيفن ماورير - 12 مايو 2023

المصـــدر: The War Horse (منظمـــة إخباريـــة أمريكيـــة مختصـــة في الخدمـــة العســـكرية)

ترجمة الخطابي للدراسات - يوليو / تموز 2023

انعكـس بريـق الانفجـارات على الضبـاب الـذي عـمَّ نهـر الفـرات كمـا لـو كانـت عاصفـة قادمـة.... دوّت قذائـف المدافـع الروسـية على المواقـع الأمريكيـة في مصفـاة الغـاز الطبيعـي شـرق سـورية، وتصادمـت الطلقـات الخطاطـة في سـماء سـورية، وشـعر جنـود القـوات الخاصـة بـدوي الانفجـارات وهـم داخـل عرباتهـم المدرعـة.

ضربـت طائـرات إف-15 الهجوميـة ومروحيـات الأباتشـي والطائـرات المسـيرة المدافـعَ الروسـية وتشـكيلات العـدو على الأرض، كان فريـق القـوات الخاصـة يخـوض مواجهـات مـع مقاتلـي تنظيـم الدولـة الإسـلامية لأشـهر، أمـا هـذا فـكان شـيئا مختلفـاً، فهجـوم تنظيـم الدولـة غالبـاً يقتصـر على رشـقات قليلـة مـن مدافـع الهـاون أو إطـلاق نـار عشـوائي مـن بنـادق كلاشـينكوف، أمـا هـذه فكانـت قـوة روسـية مُدرَّبَـة ومُجهَّـزَة بالمدفعيـة والعربـات المدرعـة، كان هـذا قتـالا نديّـاً، خاضتـه القـوات الأمريكيـة.

يقـول تشاونسـي الرقيـب السـابق في فريـق القـوات الخاصـة، والـذي أسـهم في قيـادة فريـق الـرد السـريع إلـى المصفاة:(بـدا ميـدان المعركـة الملتهـب وكأنـه مدينـة نيويـورك في ليلـة رأس السـنة، لـم أشـهد في حياتـي معركـة مُحتدمـة كهـذه).

(أُغفلتْ أسماء الجنود لحمايتهم).

في شباط عام 2018 نُشِرَ فريق القوات الخاصة الأمريكي في سورية كجزء من الحملة لقتال تنظيم الدولة التي بدأت عام 2015. ولكن بعد أشهر من العمليات الناجحة ضد تنظيم الدولة، يواجه الفريق الآن عدواً جديداً، شن حوالي خمسمئة جندي من الموالين للحكومة السورية بما في ذلك المرتزقة الروس العاملين في صفوف فاغنر هجوماً استمر قرابة أربع ساعات على مجموعة صغيرة تتألف من أربعين جندياً من قوات العمليات الخاصة الأمريكية وحلفائهم من قوات سورية الديمقراطية في مصفاة الغاز الطبيعي في حقل كونيكو شرق سورية. تُعَدُّ هذه المصفاة من أكبر المصافي في المنطقة، وتضم عدة مباني توفر غطاءً جيداً، مما وفَّرَ للروس نقطة تمركز على الجانب الشرقي من النهر.

القبعات الخضراء التابعة للجيش الأمريكي تجري مناورات على المركبات المُرَكَّبَة خلال تمرين بالذخيرة الحية بالقرب من حامية التنف، سوريا، 12 نيسان/أبريل 2020

استولت ميليشيا فاغنر على حقول النفط والغاز لحمايتها لصالح حكومة الأسد، إذ يحصل المرتزقة على حصة من عائدات الإنتاج وفقاً لمسؤولين في الاستخبارات الأمريكية. تصف الوثائق التي حصلت عليها صحيفة نيويورك تايمز المقاتلين في المصفاة بأنهم (قوة موالية للنظام)، (ومخلصة للرئيس السوري بشار الأسد). تضم المجموعة بعض الجنود والميليشيات التابعة للنظام السوري، لكن توصَّلَت القوات

والاستخبارات الأمريكية إلى أن الغالبية العظمى منهم مرتزقة روس، وعلى الأرجح ينتمون لمجموعة فاغنر، وهي شركة كثيراً ما يستخدمها الكرملين لتنفيذ أهدافه دون التصريح أنها موالية للحكومة الروسية.

تكشف المقابلات الحصرية مع ثلاثة جنود سابقين في القوات الخاصة المشاركين في المعركة بعضَ التفاصيل الأولية عن الاشتباكات مع القوات الأمريكية على الأرض، إنها أول تقرير علني من المشاركين في واحدة من أكثر المعارك الدموية التي واجهها الجيش الأمريكي في سورية منذ نشر القوات لقتال تنظيم الدولة في أيلول عام 2014 تحت إدارة أوباما.

شكَّلَت إمكانية التصادم بين الجيش الأمريكي والجيش الروسي في سورية هاجساً، حيث اتخذ الجانبان اتجاهين متعارضين في الحرب الأهلية السورية التي مضى عليها آنذاك سبع سنوات. في شباط عام 2018، أصبحت هذه المعركة واحدة من المناسبات النادرة التي تبادلت فيها القوات الأمريكية والقوات الروسية إطلاق النار.

بعد أن توقف قصف المدفعية لبرهة، وصل فريق الرد السريع المكوّن من ذوي القبعات الخضراء والمارينز إلى المصفاة، وأطلقت عاصفة من النيران قلبت موازين المعركة.

من فوق السلسلة الجبلية، لاحظ أحد جنود القوات الخاصة أسوأ سيناريو ممكن:

تتقدم الدبابات الروسية ببطء نحو المصفاة؛ مجموعة فاغنر شركة عسكرية روسية خاصة اتهمت بارتكاب جرائم حرب في عدة صراعات حول العالم، وتناولت وسائل الاعلام بشكل واسع الاتهامات الموجهة لمجموعة فاغنر التي كانت موضع تحقيقات من قبل منظمات حقوق الإنسان المختلفة.

مؤخراً، قال قائد فاغنر أن مجموعته قد تغادر باخموت في أوكرانيا لأن القيادة الروسية لا تمدهم بالذخيرة الكافية لمعركة (كسر العظم) وهذه الشركة فقدت الآلاف من الجنود في أوكرانيا.

وقد فرضت الحكومة الأمريكية عقوبات مالية على مجموعة فاغنر، في كانون الثاني

عام 2023، أعلنت الولايات المتحدة أن (الميليشيا الروسية) منظمة إجرامية عابرة للحدود.

نفت الحكومة الروسية أي روابط رسمية مع مجموعة فاغنر، ورفضت الادعاءات بشأن ارتكابها جرائم حرب، كانت ساحة الحرب السورية ساحة اشتباك ثلاثية متداخلة، حيث كانت القوات الأمريكية وحلفاؤها من قوات سورية الديمقراطية تحارب تنظيم الدولة، أما القوات الموالية للنظام السوري ومجموعة فاغنر فتقاتل الإرهابيين أيضاً. تقع دير الزور المنطقة الغنية بالنفط على حدود العراق، ويفصل نهر الفرات بين الأطراف المتنازعة؛ روسيا على جانب النهر، والولايات المتحدة وتنظيم الدولة على الجانب الآخر، حيث يَصْعُبُ تمييز الصديق من العدو، كما يقول جوش.

قاد أندرو-الذي يعمل لأول مرة كضابط في القوات الخاصة فريقَ القوات الخاصة الذي قام بتطهير المنطقة الجنوبية، ولكنهم توجهوا جنوباً من جديد بعد رؤيتهم لبعض التحركات، في الأيام التي سبقت الهجوم على المصفاة، بقيَ الروس والأمريكان متقابلين على ضفتي النهر، يقول آندرو (خطط الروس للاستيلاء على مصفاة الغاز بعد وصولهم إلى محافظة دير الزور)، إذ تمركز فريق مكون من حوالي ثلاثين جندياً في المصفاة، بينما كان فريق آندرو وفصيل من البحرية في موقع إسناد يبعد حوالي عشرين دقيقة يقومون بمسح المنطقة بالطائرات المسيرة، وفي تمام الساعة الثالثة ظهراً، بدأت قوةٌ بقيادة روسية بالتجمع قُرب المصفاة، وفي المساء، كان أكثر من خمسمئة جندي و سبع وعشرين مركبة بما في ذلك الدبابات وحاملات الجند المصفحة في وضع الاستعداد.

مركبة M2 Bradley، تفحص بحثاً عن تهديدات بالقرب من مصفاة نفط في شمال شرق سوريا، 12 نوفمبر 2020

أثار هذا الوضع حالة من الارتباك في أوساط الضباط ومحللي الاستخبارات في المنطقة وأولئك المتواجدين في واشنطن ويتابعون الوضع عن طريق الطائرات المسيرة، تأهب الطيارون والطواقم الأرضية المتواجدة في المنطقة، بينما جمع الرقيب آندرو وشاونسي الفريق استعداداً للرد السريع.

حَمَّلَ الجنود ثلاث عربات مدرعة من طراز M-ATV وعربة مدرعة MRAP بالمعدات والذخيرة والطعام، ورتبوا القافلة بحيث يستطيع المشاة وجنود البحرية الركض بسرعة نحو العربات والمغادرة فوراً. وتفحَّصوا أسلحتهم للتأكد من توفر ذخيرة احتياطية ومناظير حرارية لكل منهم، وصلت مروحية «بلاك هوك» مع دعم طبي إضافي يتضمن دماً إضافياً لنقل الدم عند الحاجة، وفقاً لآندرو.

وعند حلول الليل، استعد الجميع للمعركة، راجين ألا تحدث، لأن عربات القوات الخاصة المدرعة ليست نداً الدبابات الروسية. وفي تمام الساعة الثامنة والنصف مساءً، تحركت ثلاث دبابات T-72 -تزن كل منها حوالي الخمسين طن- مسلحة بمدفع عيار 125 ملم، على بعد ميل واحد فقط من المصفاة، اكتفى الأمريكيون بالمراقبة، بينما قامت طواقم المدفعية بتجهيز المدافع ولم ترمِ أي قذيفة، ثم تجمهر الجنود قرب ناقلة الجند المصفحة من أجل الهجوم، مما نبّه الأمريكيين بأن المهاجمين

مقاتلون روس.

يقول جوش الذي راقب المعركة عبر الطائرات المسيرة: (عتقد أن هذا جزءٌ من العقيدة الروسية التي تقضي: بأن تقوم القوات بأعمال تبدو وكأنها تدريبات حتى اللحظة الأخيرة من الهجوم).

عند الساعة العاشرة مساءً، رأى الجنود الأمريكان في نقطة المراقبة رتلاً من الدبابات والعربات المصفحة متوجهاً نحو المصفاة، قادماً من منطقة قريبة محاولين التجمع دون أن يُكتشفوا، ثم هُرِع آندرو وتشاونسي إلى حيث تنتظر فرقة تشاونسي، وقد حمّلوا بالفعل الشاحنات في تلك الليلة.

قال تشاونسي: (انصتوا إليّ، الرجال هناك يتعرضون لهجوم، يجب علينا التحرك ومؤازرتهم). خرجت العربات الخمس تحت جنح الظلام من الموقع العسكري وتوجهت للمؤازرة. دلّت قوات سورية الديمقراطية (قسد) الفريق على الطريق. لاتملك قسد أجهزة رؤية ليلية لذلك كان من الصعب عليهم اجتياز الطريق المليء بالأنقاض وحفر الألغام والسواتر الكبيرة لإنشاء حواجز متعرجة حول النقاط.

يقول جوش: (نسير في الظلام وفجأة نصطدم بهذه السواتر فنبطئ ومن ثم نعبر بين هذه السواتر ونمضي قُدُماً)

وعند اقتراب قافلة القوات الخاصة من المصفاة، هاجم المرتزقة الروس والقوات السورية المواقع العسكرية باستخدام مزيج من نيران الدبابات والمدفعية الثقيلة وقذائف الهاون، امتلأ الجو بالغبار والشظايا، فانبطح جنود القوات الخاصة خلف السواتر الترابية والعربات المدرعة بينما تقدّم المرتزقة الروس بغطاء من قصف المدفعية. كان هناك طائرة مسيرة من نوع «بريداتور» في الموقع عند بدء الهجوم، أفرغت الطائرة المسيرة كل حمولتها من صواريخ (هيلفاير) مُدمرةً مدفعية العدو، كي يتسنى للجنود الأمريكيين التركيز على المعركة البرية.

ثم استمرت الطائرة المسيرة بالتحليق فوق أرض المعركة لتقديم بث مباشر لسير المعركة للضباط في مركز القيادة والمسؤولين في واشنطن.

خلال الخمسة عشر دقيقة الأولى من الهجوم، عمل القادة الأمريكيون على الاتصال بنظرائهم الروس وحثهم على إيقاف الهجوم، ولكن عندما نفى الروس أن تكون القوات تابعةً لهم، أطلقت القوات الأمريكية طلقات تحذيرية على مجموعة المركبات ومدفع الهاوتزر، لكن واصَلَ المهاجمون التقدم.

امتلاك مرتزقة فاغنر نظام أرض-جو جعل من المستحيل على المقاتلات الأمريكية تنفيذ هجمات مباشرة، لكن أوقِف نظام أرض-جو عندما تحدث المسؤولون الأمريكيون مع نظرائهم الروس، مما سمح للمقاتلات الأمريكية بالعودة وتنفيذ الضربات، توقفت عربة قسد التي تقود قافلة القوات الخاصة قُرب المجمع، بينما انهمرت قذائف المدفعية على المصفاة كالمطر، لمعت السماء بالانفجارات والطلقات، نظر جنود قسد الذين يتقدَّمون القافلة نظرة خاطفة ثم فرّوا هاربين لا يلوون على شي.

الفريق الذي تولى قتال مجموعة فاغنر في سوريا

هكذا كان يفكر شاونسي الرجل الأكثر اطلاعاً على ساحة المعركة، وكان للآخرين نفس ردة الفعل. وعلى أجهزة الاتصال، سمعوا أصوات القوات الخاصة الأمريكية في المصفاة، وفي كل مرة يستخدم الجنود اللاقط، يغطي صوتُ الانفجارات الأصواتَ المنبعثة من أجهزة الاتصال، شعروا وكأنهم في الصف الأمامي لحفلة (روك) صاخبة، شعر جنود القوات الخاصة وكأن الصوت يتردد في صدورهم.

يقول جوش: (لقد تقبَّلت ما سيحدث، بسبب ما يأتي من أجهزة الاتصال، وقلت في نفسي: يجب أن نصل إلى هناك بأسرع وقت لإنقاذ أصدقائنا)

داخل المجمع، كان الكومندوز وحلفاؤهم من قوات سورية الديموقراطية (قسد) مُتحصِّنين. بدون أسلحة ثقيلة، لم يكن بمقدورهم إلا التحصن، وعند ركود القصف المدفعي، تواصل آندرو عبر اللاسلكي مع قائد الكومندوز، الذي قام بتحديد مواقعهم باستخدام ليزر حراري. وأثناء قفزه من عربته ليتحدث مع قائد الكومندوز، لاحظ آندرو مواقع دفاعية على السواتر يتواجد فيها الكومندوز وقسد بجانب حفر بعمق ستة أقدام حيث سقطت قذائف المدفعية.

نجت المجموعة الصغيرة من القوات الأمريكية بأعجوبة دون أي أذى، باستثناء جرح مقاتل من قسد، تهلل وجه قائد الكومندوز عند رؤيته لفريق القوات الخاصة.

وقال للقوات الخاصة (ليس بوسعنا إلا الاختباء وتوقّي القذائف). لكن كانت هذه البداية فقط، كان لدى الروس كتيبة متكاملة من حوالي خمسمئة جندي ودبابات وحاملات جند مصفحة ومدفعية مع عناصر دعم قريبة، أما الأمريكيون فلم يكن لديهم سوى عدد قليل من العربات وأقل من خمسين جندي.

يقول جوش: (توازن القوى جزء كبير من المعركة، ولهذا السبب كان الدعم الجوي ذا أهمية حاسمة) كانت موجة أخرى من المقاتلين في الطريق لمّا تصل بعد، بينما واصلت القوات الروسية تقدمها.

قال قائد الكومندوز لآندرو: (سيتأخر وصولهم فما العمل؟) كان أفراد الكومندوز مسلحين بأسلحة خفيفةٍ منها مدفع رشاش واحد فقط وبعض الأسلحة الخفيفة التي تفتقر للمدى والقوة الكافية لتُلحِقَ أضراراً حقيقية بالقوات الروسية، كانت عربات القوات الخاصة الخمسة مُجهزة بمدفع عيار 50ملم وقادرة على رؤية ساحة المعركة بالكامل ولديها المدى الكافي للاشتباك مع الروس الزاحفين نحو المصفاة، اصطفت عربات القوات الخاصة خلف الساتر لمواجهة القوات السورية الموالية ومرتزقة فاغنر.

فتح العدو النار باستخدام رشاش 23 ملم مضاد للطيران، مما أسفر عن سلسلة من الرشقات المتواصلة على المجمع. وبينما كانت العربات متحصنة خلف الساتر، تواصل آندرو مع الفريق عبر اللاسلكي الداخلي للعربة لتجميع الفريق (هذا واجبنا الذي نتقاضى رواتبنا لقاءه، أريد من الجميع أن يكونوا مستعدين ومنتبهين، إذا رأيت أي شي مهما كان، أخبرنا بالمسافة والاتجاه وصف لنا ما رأيت، أصرخ بما رأيت وعندها سنتعامل مع الهدف).

إنهم لا يصيبون أي شيء

ترجّل المرتزقة الروس من عرباتهم وتوجهوا إلى النقطة العسكرية سيراً، استخدم فريق القوات الخاصة أجهزة تحكم عن بعد لإطلاق النار من الرشاشات الثقيلة المثبتة فوق عرباتهم.

قال تشاونسي: يجب أن يتوهم هؤلاء أنهم طهّروا الموقع بالكامل، وهم في طريقهم للاستيلاء عليه. لا يوجد قوات صديقة أمامكم، لذلك لا تقلقوا من إصابة المدنيين، أن أحسست بأن هناك حركة فهو على الأغلب عدو، أطلق عليه النار، (لنفتح النار، ونعلمهم بأننا هنا)..

رصد فريق جوش في العربة رقم 2 مجموعة صغيرة من المرتزقة على بعد حوالي 1000 متر من العربة وهم يقتربون، أدار الرامي مدفع عيار 50 المثبت فوق العربة، يمكن للمدفع إطلاق الالاف الرصاصات على أهداف تبعد 1000 متر. عند تفعيل وضع الإطلاق لا يتوقف المدفع عن الرمي حتى تنفد الذخيرة، فيما لا تتجاوز مسافة التناثر[1] طلقات مساحة غطاء سيارة صغيرة.

قال جوش: (راقب هؤلاء الرجال وأطلق عليهم).

1) مساحة التناثر هو أقصى تباعد بين إصابات الطلقات على مسافة معينة، حين يكون السلاح الرشاش مثبّتاً وموجهاً نحو نفس الهدف

ضغط الرامي-الفني المختص في التخلص من المتفجرات الملحق بالفريق- على الزناد لكنه لم يفتح الأمان. بعد عدة محاولات من الإطلاق، وصل جوش لقبضة التحكم، صوّب نحو المجموعة من المقاتلين الروس والسوريين وأطلق النار، دوّت طلقات المدفع الرشاش عيار 50 فوق سقف العربة وتناثرت أشلاء الرجال المتقدمين على الرمال السوداء.

وبعد ثوان من تحييد جوش للمجموعة، أضاء الأفق بنيران المدافع الرشاشة، قامت المجموعات الروسية المتبقية-التي حفرت على وجه السرعة بعد الضربات الجوية مواقع قتالية- بقصف الساتر بالأسلحة الخفيفة والرشاشات.

حدد رماة المدفعية في القوات الخاصة العربات الروسية ومواقعها القتالية، لم يمضِ وقت طويل حتى بدأت المدفعية الأمريكية بالزمجرة، وهذا يعني أنه لم يكن هناك فترة كافية بين الانفجارات عندما أطلقت الرشاشات المختلفة النار على مواقع الروس، كان جدار النيران متواصلاً ومدمراً مما أجبر مرتزقة فاغنر وقوات النظام السوري على الاختباء.

يقول تشاونسي: (نحن أكثر دقةَ منهم، بإمكان نا رؤية الطلقات عند اصطدامها بالمعدن، ويمكننا رؤية مواقعهم تتعرض للقصف. نعلم أننا نحقق إصابات جيدة ونقتل الجنود).

كانت التضاريس مسطحة كملعب بيسبول. يتطاير التراب من الساتر من أمام العربات بينما استمر المرتزقة الروس وجنود قوات النظام السوري بالتقدم، لكنهم لم يُصيبوا أيّ عربة. عندها علِم جنود القوات الخاصة أن الروس والجنود السوريين يفتقرون القدرة على الرؤية الليلية.

يقول جوش: (لا يمكن أن يكونوا بهذه الدرجة من السوء، إنهم لا يصيبون أي شي).

بعد فترة من الوقت، نفدت ذخيرة الرشاش المثبت فوق عربة جوش، وكان هناك حقيبة ذخيرة ضخمة فيها حوالي أربعمئة طلقة موضوعة بجانب الرشاش الآلي. ولإعادة تلقيم الرشاش، يتحتم على أحدهم أن يتسلق خارج العربة وسط عاصفة

من زخات الرصاص وشظايا القذائف ويقوم بتلقيم الرشاش الآلي.

كان هناك ثلاثة جنود بما فيهم جوش يجلسون في العربة، كان على السائق أن يبقى في الشاحنة في حال الاحتياج إلى تحريك العربة، ولم يتلق فني المتفجرات التدريب الكافي لتلقيم الرشاش، مما لم يترك مناصاً لجوش من تولي المهمة، كان هناك غطاء في سقف العربة يمكن أن يفتح، ولكن الغطاء كان مُحكماً للغاية، ولفتحه يتحتم على جوش الاستلقاء على ظهره في منتصف المقاعد وركله بقدميه، توجد معدات وإمدادات إضافية مُكدسة على السقف، ويمكن أن يُعرض نفسه للشظايا والطلقات.

فتح جوش بابه المصفح وصعد إلى سقف العربة، وناوله فني المتفجرات الذخيرة من أجل ربطها بكل متسلسل وطيها داخل العلبة وإلا فإن الرشاش سيعْلق، بدأ جوش في تلقيم العلبة لكن منظاره الليلي تركز على مسافة محددة، مما جعل التصويب القريب صعباً. ربط شريطين-حوالي مئة طلقة- ومدّ يده لربط الأخر عندها سقطت قذيفة مدفعية بالقرب منه، ضربَ عصفُ القذيفة جوش في صدره، تلاها صوت ضجة هائلة.

كان يحتاج لإعادة التلقيم بسرعة أكبر.

رفع نظارات الرؤية الليلية، وشغّل مصباح رأس بعدسة حمراء مُعلَّق حول عنقه حتى يتمكن من تلقيم الأحزمة المتبقية، وبعد بضعة ثوانٍ من تشغيل الضوء سمِع صوتاً يشبه رشقات الرصاص.

ارتفعت طلقات الرشاش المضاد للطيران في الهواء في خط مستقيم مع العربة، لماذا يطلقون الرشقات؟ يتذكر جوش أنه تساءل، لكنه في ذلك الوقت أدرك أن رشقات الرصاص مُوجهة إلى الضوء الأحمر الخاص به.

أطفأ الضوء وانبطح أرضاً، بينما وصلت أول رشقة من المدفع، لم يكن الصوت كالصوت القوي النابع من بندقية بل كان شيئا أعمق.

كان الصوت مرتفعاً لدرجة أنه لم يستطع سماع ضحكاته وهو يرى القذائف تمر

فوق رأسه بسلام. علم جوش أنه في ورطة، ولا يمكنه التنبؤ بأن القذائف التالية لن تُصيبه، كان عليه أن يدخل إلى العربة.

يا أحمق، يتذكر أنه فكر، لقد أشعلت مصباح خوذتك، لقد خدعوك، كان أحدهم مستعداً لإطلاق النار عليك ولم يبقَ أي شي لتعيده، يجب أن ألقِّم المدفع من جديد قبل أن أتلقى رصاصة بحجم علبة الريد بُل وأنا أقوم بذلك،

طوى أحزمة الذخيرة المتبقية في العلبة وتسلل مرة أخرى إلى حجرة الطاقم المُدرعة.

بعيداً عن الشاحنة بضعة أمتار، قام تشاونسي بتحديد مواقع فريقه وحدد مواقع مجموعة فاغنر على قطعة من الورق بعد أن خمَّنها تخميناً، شعر بالثقة لأنه رأى أنهم ينتصرون في المعركة، بعد ذلك تلقى اتصالاً من إحدى العربات التابعة لفريقه، قال الجندي في القوات الخاصة مستخدماً الاسم الرمزي لقائد الفريق: (مرحباً زولو)

قال تشاونسي (مرحبا، تحدَّث، ماهي رسالتك؟) (لقد رأيت هذه العربات الكبيرة)

كان تشاونسي يعلم ماهي تلك العربات ولكن لا أحد يريد قول ذلك. وكانت الدبابات الروسية تتقدم.

سنبقى ونقاتل

رأى تشاونسي عشر دبابات روسية في الأفق تتحرك ببطء واحدةً تلو الأخرى.

قال تشاونسي للفريق الذي رصد الدبابات: (ارم خمس طلقات على تلك العربات الضخمة)

في الطرازات القديمة، قد يخترق عيار 50 بعض الدروع، ولكن في الطرازات الحديثة سترتد الطلقات عنها. إذا كانت لديهم الطرازات الحديثة سيكون فريق القوات الخاصة في مأزق.

قال الرامي عبر اللاسلكي:» تلقيت ذلك» وأطلق النار.

رأى تشاونسي الطلقات الضوئية تتسابق في السماء المظلمة، خمسُ طلقات على الهدف.

رَبَّتَ تشاونسي الرامي على قدمه وقال: (ارمِ خمس طلقات على تلك الدبابة المتواجدة على يميننا غرباً)

قال الرامي: (حسناً، خمس طلقات) وأدار الرشاش فوق رأس تشاونسي وأطلق النار، وارتدت خمس طلقات.

قال تشاونسي لجوش عبر اللاسلكي: (يا فريق العربة الثانية، ارصدوا العربة التي في المنتصف)قال جوش (حسناً) (ارمِ خمس طلقات)

كانوا في مأزق.

كانت الدبابات الروسية على بعد نحو ألفي متر، وهذا يعني مسافة قريبة في معركة الدبابات. ولكن يفتقر الروس للرؤية الليلية للتحرك بسرعة. تقدم آندرو وتشاونسي بخطة سريعة: (بدون تغطية جوية سيضطرون للتخلي عن المنشأة النفطية).

سأل تشاونسي آندرو: (ماذا عن الطائرات؟)

كان يسعى جاهداً من أجل الحصول على تغطية جوية، قام آندرو بالاتصال من جديد بالكومندوز:» يا رفاق، هل تلقيتم شيئاً؟» لم يكن لدى أحد منهم أي إجابة بخصوص الطائرات، لم يكن آندرو يعلم بأن لدى الروس نظام دفاع جوي نشط يمنع وجود الطائرات المقاتلة، في غضون ذلك ستفنى فرقة القوات الخاصة على الأرض إذا لم تتلقَ الإسناد.

يجب عليهم أن يُبطئوا تقدم الدبابات بينما يتوحد الكومندوز وفريق القوات الخاصة وينتظرون الغطاء الجوي.

لكن آندرو علم أنهم لا يستطيعون المغادرة. وذلك سيفتح الطريق أمام قوة روسية كبيرة للتقدم نحو الشمال بدون عوائق تحول بينهم وبين الوصول لقاعدة الدعم الأمريكي والسيطرة على المنطقة التي قضت فرقته شهوراً لتطهيرها من تنظيم الدولة وأمَّنت وصولهم لشبكةٍ من مصافي النفط والغاز الطبيعي في المنطقة.

قال آندرو: (واصلوا الرميَ ووضعَ علامات على أي مصفحة بالطلقات الخطاطة لحين وصول المقاتلات الحربية).

تشاونسي يعلم أن الفريق متحد، وكانوا يطلقون على الفريق « سفينة القراصنة» لأنه في حال حدوث أي شي، سيهلكون جميعاً، والآن هم في مواجهة الدبابات، وهذه فرصةً حقيقية، على الرغم من أدائها الباهت في ساحة القتال في أوكرانيا، ماتزال الدبابة السلاح الفعال في المعركة.

لا تملك القوات الخاصة الأمريكية سلاحاً يوقف الدبابات، كان الأمر كما لو أنهم يتعرضون لملاحقة من سُلحفاة، مع كل دقيقة، تقترب الدبابات ببطء.

فتح تشاونسي المايك وقال لفريقه:» سنبقى ونقاتل»، لم يناقش أحدُ الأمر، ولكن بصفة خاصة ولوهلة من الزمن في المعركة، فكر جوش باقتناص فرصته في النجاة، فقد شارف على الهلاك بمجرد إشعاله مصباح خوذته، وكانت مسألة وقت فقط قبل أن تصبح الدبابات قريبةً بما فيه الكفاية لاستهداف عربات الـ MAT-V على

الرغم من تصفيحها إلا أنها تبقى عاجزة أمام مدفع الـ 125 ملم في الدبابات.

قال جوش: (كان هذا كل ما حققناه، وهنا ينتهي كل شي، لم نأت لقتال المرتزقة الروس المُسلحين بالدبابات، يجب علينا أن نتقبل احتمالية عدم عودتنا، وإنه كان من السهل تقبل أننا كنا ندافع عن أصدقائنا ونقوم بما يجب فعله).

وعلى الرغم من الفرص الضئيلة، واصلت العربات الأمريكية إطلاق النار على الدبابات المتقدمة، والمواقع الروسية، تومِضُ سبطانات الدبابات تحت الرؤية الليلة الخضراء مع صوت القذائف وهي تأزُّ فوق رؤوسهم.

وقفت عربات القوات الخاصة على الساتر، مُعرَّضَة للاستهداف، ليس بوسع الروس الرمي في الليل، رغم القرب، إذ تضيع كل طلقات الدبابة.

ولكن الدبابات كانت تقترب، وكانت إحداها على بعد أقل من كيلومتر، رغم إطلاق النيران المستمر من العربات الأمريكية.

وبطرف عينِه، رأى تشاونسي وميضاً، ثم تحولت الدبابة الأولى التي اقتربت أقل من كيلومتر إلى كرة نارية ضخمة.

(اللعنة، ما هذا)؟

أدار تشاونسي عنقه كي ينظر خلال النوافذ الصغيرة المضادة للرصاص، قبل أن تصله الإجابة، انفجرت دبابة أخرى بعيدة إلى الغرب مع مرور طائرتي أباتشي من فوقها. بمجرد تخطيها الساتر، فتحت المروحيتان رشقةً من النيران على مواقع الروس القتالية. أضاء فريق القوات الخاصة الدبابات المتقدمة بالطلقات الخطاطة بينما حلقت الآباتشي لدورة جديدة.

قال تشاونسي: (عندما رأونا نطلق النيران على شيء متحرك، دمروا الدبابات، وحلقوا بالطائرات لمدة خمس وأربعين دقيقة ودمروا كل شيء).

وصلت الآباتشي في الوقت المناسب، يتذكر جوش بوضوح سماع صوت رشقات النيران، ومن ثم المزيد من الصواريخ وهي تصيب الدبابات، (أعتقد أننا لولا سلاح

الجو الذي استجاب لنا، لكنا تحولّنا إلى مجرد بقايا شحم على الأرض، في حقل نفط في سورية).

فقط شد خوذتك وأغلق الأبواب

بدأت الأمور بالتحسن، عندها اتصل قائد المعركة في مركز القيادة على آندرو عبر اللاسلكي:(كن مستعداً هناك طائرة قادمة).

قال آندرو سعيداً بوجود دعم جوي إضافي:(حسناً).

قال قائد المعركة:(لا يا رفاق، قاذفة روسية قادمة!)

كانت القوات الجوية الأمريكية تتفوق في الأجواء السورية، ولكن إذا أرسل الروس قاذفة، فإن ذلك يغير موازين القوى في المعركة. توجه آندرو لشبكة الفريق وحذرهم من القاذفة الروسية القادمة: (ليس هناك ما نفعله، فقط أشدد خوذتك وأغلق الأبواب).

وخلال الدقائق التالية، انتظر آندرو القاذفة القادمة، هل ستقصفهم أم ستمر من فوقهم؟ لقد نجا من معركة دبابات للتو، ولكن هذا أسوأ، قنبلة وزنها خمسمئة رطل ستقتل فريقه بالكامل، وقبل وصول القاذفة المُفترض، قال قائد المعركة: لا يوجد قاذفة، عاد الروس أدراجهم.

وبعد ساعة، بدأ المقاتلون الروس بالانسحاب، أعلن المسؤولون الأمريكيون والروس وقفَ إطلاق النار، وراقبت القوات الخاصة المرتزقة الروس وجنود النظام السوري وهم يعودون لجمع قتلاهم ووُضعت العربات المحترقة أمامهم.

كانت هناك ساعتان حتى بزوغ الفجر، راقب الفريق من الساتر كيف يقوم الروس بإخلاء الميدان. قام الفريق بفحص الذخيرة وتوزيع الإمدادات فيما بينهم، أمر آندرو رجاله بالراحة والأكل والنوم في المناوبات إن استطاعوا، ولكن الأغلبية منهم كانوا متحفزين بسبب الأدرينالين.

في اليوم التالي، رأي تشاونسي تغطية المعركة على CNN، يبدو أنه تقرير بريء وممل، ليس كما عاينه الليلة الماضية.

(أطلقنا ما بين أربعة آلاف إلى ستة آلاف طلقة من عيار 50 تلك الليلة، أظن أن إجمالي الإصابات حوالي ثلاثمئة وخمسين قتيلاً)

ليس هناك عدد دقيق للضحايا في معركة 7 شباط، ولكن المصادر تقدر عدد القتلى بين المئة إلى الثلاثمئة من المقاتلين الروس والموالين للنظام السوري. تزعم السلطات الروسية أن خمسة جنود قتلوا فقط، ولكن تشير تسجيلات صوتية لجنود من فرقة فاغنر إلى مقتل مئات المرتزقة، أكد أحد قدامى المجموعة الروسية وجود هجوم أباتشي في تلك التسجيلات، ووصفه بأنه» دوران جنوني برشاشات ثقيلة).

يقول أحد قدامى مجموعة فاغنر في تسجيل صوتي:(لقد تعرضنا للضرب في مؤخرتنا، لقد بعثرونا إلى أشلاء، لقد ضربوا مؤخراتنا كما لو أننا قطعُ صغيرة من البراز)

دُمِّرَت تسع دبابات من أصل عشر في الهجوم، بالإضافة إلى جميع قطع المدفعية الست. دمر فريق القوات الخاصة بعدها بأيام الدبابة التي نجت من هجوم الآباتشي. يقول تشاونسي: (لم نتعرض لأي إصابة، أعني لم نفقد أحد، كان هناك بعض الإصابات الطفيفة، واضطراب ما بعد الصدمة، ولكن عاد الجميع بسلام).

عَنْ مَرْكَزِ الخَطَّابِيِّ

هُـوَ مركـزُ دراسـاتٍ وأبحـاثٍ مختـصٌ في علـومِ وفنـونِ الحـروبِ الثَّوْرِيَّـة، تَـمَّ إنشـاؤهُ في إدلب-سـوريا سـنة 2019. يسـعى مركـز الخطابـي إلـى إيجـادِ مراجـعَ شـاملةٍ تتنـاولُ مبـادئ وإسـتراتيجياتِ وتكتيـكاتِ الحـروبِ الثَّوْرِيَّـة، لتلبيـةِ حاجـةِ الثُّـوَارِ التَّدريبِيَّـةِ والبحثيَّـةِ، كمـا يَهـدِفُ إلـى توفيـرِ مصـادرَ علميَّـةٍ وافيـةٍ عـن الفنـونِ السِّيَاسِـيَّة والعَسـكَرِيَّة والاجتماعيَّـةِ التـي يحتاجُهَـا الثُّـوَارُ في العالـمِ العربـيِّ والإسـلاميِّ، وذَلِـكَ مـن خـلالِ التحليـلِ الدقيـقِ والتقييـمِ العلمـيِّ لتاريـخِ أَهَـمّ الثَّـورَاتِ السـابقةِ، وتقديـمِ التوجيهـاتِ والتحليـلاتِ الدقيقـةِ التـي تحتاجُهَـا النُّخَـبُ الثَّوْرِيَّـة حـولَ أَهَـمّ النـوازلِ المعاصـرةِ، والأرشـفةِ الشـاملةِ عـن أحـداثِ الثَّـورَةِ السـوريَّةِ على المسـتوى العَسـكَرِيّ والسِّيَاسِـيّ والاجتماعـيِّ.

أَهَمُّ المؤلفاتِ والكتبِ:

1. الخطَّابـي، مُلهِـم الثـورات المُسَـلَّحَة، ثـورة الريـف الثالثـة (1921 – 1926م): السـياق التاريخـي والأبعـاد السِّيَاسِـيَّة والعَسـكَرِيَّة والاجتماعيـة.
2. لمحةٍ عن المسارِ السِّيَاسِيّ لآلِ سعودٍ في الدولة الثالثة.
3. "أستانا"، مسارُ القضاءِ على الثَّورَة السورية.
4. الاحتـلالِ بيـن النظريَّـةِ والتطبيـقِ، عوامـلُ قـوةِ عَمَلِيَّـات مكافحـةِ التمـردِ الأمريكيَّـة، وجـدوى هَذِهِ العـوامِلِ في أفـغانسـتان بين 2001 و2020.
5. انتفاضةِ الصحراءِ، الثَّورَة الليبيَّةُ 1911 – 1931 وأبعادُها السِّيَاسِيَّة والاجتماعيَّةُ والعَسكَرِيَّة.
6. التجنيد الاستخباري؛ دوافعه، مراحله، مخاطره.
7. الدفـاع في الحـرب الثَّوْرِيَّـة؛ مدخـل إلـى مبـادئ الدفـاع وأنواعـه وعوامـل قوتـه وإجـراءات السـيطرة فيـه خـلال الحـرب الثَّوْرِيَّـة.
8. الصلحُ في الشريعةِ وتطبيقاتُهُ في الثَّورَةِ السوريةِ، إدلب نموذجاً.
9. العقيدة العسكرية، الخصائص والتكوين.

أَهَمُّ الترجماتِ:

-نشـوبُ الثَّـورَة المُسَـلَّحَة، دروسٌ مـن الفيـت كونـغ وصـولاً إلـى الدولـةِ الإسـلاميَّةِ، تأليـف سـيث جونـز.

-تكتيكاتُ طالبان جنوبَ أفغانستان بين 2005 و2008، تأليف كارتر مالكاسيان وجيري ميرلي.

-الجانـبِ الآخـرِ مـن الجبـلِ، تكتيـكاتُ المجاهديـن في الحـرب الأفغانيَّـةِ السـوفييتيَّةِ، تأليـفُ أحمـد جلالـي ولسـتر غـراو.

-مكافحةُ الانقلابِ، لجين شارب وبروس جينكيز.

مـن الدولـةِ العميقـةِ إلـى تَنْظِيْـم الدولـةِ الإسـلاميَّةِ، الثَّـورَة العربيَّـةُ المضـادةُ وموروثهـا الجهادي، لجـان بييـر فيليو.

ردع الأعداء داخل البلاد وخارجها، كَيْفَ تصبح ضابط استخبارات، ويليام جونسون.

المـلا عمـر وطالبـان أفغانسـتان، مذكـرات المـلا مطمئـن الناطـق الرَّسْـمِيّ للمـلا عمـر، ترجمـة أحمـد مولانـا وأنـس خضـر.

حـرب مكافحـة التمـرد «النظريـة والتطبيـق» تأليـف: دايفيـد جاليـولا (داود قَلاَلَـة) - ترجمـة: أنـس الخضـر

يُشَرِّفُنَا اطِّلاعُكَ على أرشيفِ المركزِ أو التواصلِ معَنَا على المواقعِ الرَّسْمِيَّةِ التاليَّةِ:

- الويب: (https://alkhattabirw.com/)
- الفايسبوك: (http://fb.me/alkhattabirw1)
- التويتر: (https://twitter.com/alkhattabirw)
- التلغرام: (https://t.me/alkhattabirw)

alkhattabirw